

كحل: مجلّة لأبحاث الجسد والجندر
مجلّد ٢، عدد ٢ (شّاء ٢٠١٦)

العشاء الكبير لميلاد المسيح: تركيا،^١ روج افا، وقليل من النسويّة

بقلم إ.س.ك. بريرانا

^١ ملاحظة التحرير: في النسخة الأصليّة بالإنجليزيّة، كلمة "تركيا" و"ديك رومي" متطابقتان. لذلك، بإمكان القارئ اعتبار العنوان جزء من وصفة طبخ.

هناك منطقة تتمتع بحكم ذاتي في شمال سوريا: روج افا - التي يمكن أن يعزى استقلالها إلى الجيش الاشتراكي النسوي الذي يدخل ويخرج من منطقة الصراع هذه - ضاحكا، مرتديا عصابات، وصارخا "حرية، نساء، حياة" في وجه المطبات التي يواجهها. يعيد هذا الجيش من النساء تعريف نسوية ما بعد الحداثة مرة أخرى، ويتحدى هياكل الصراع والرأسمالية، ويثبت خطأ كل الماركسيين الذين يقشعرون لوصف "نسوية" التابع للتعريف. الاستقلال، هنا، هو ما يشير إلى القدرة على العيش في مساحة ديمقراطية تسمح لك أن تتصرف/ي وفقا لأدوار جندرية غير معيارية وغير ناشئة عن الهياكل الاقتصادية والسياسية المسقطه. ما الذي يجعل استقلال روج افا أكثر إثارة للتعجب الإيجابي هو أن ديمقراطيتها ليست سوى نتيجة وجود وصعود جيش النساء، وذلك يعني في المقام الأول أن هناك مجموعة من النساء اللواتي تلعبن ضد كل الصعاب الموجودة ضدهنّ لخلق مساحة لهنّ، ومن طرفهنّ، وعنهنّ (كما قد يقول الشاعر الشهير للعالم). على الرغم من أن النسويات الراديكاليات قد يجادلن أن مفهوم الجيش النسائي يساهم في القيم الأبوية الذكورية - نظرا لأنه طالما نُظر إلى القتالية على أنها المهارة الأساسية للذكور من قبل المتطرفين على حدّي النقاشات المتعلقة بالجندر والجنسانية، ومن المبهمة رؤية إعادة رسم الحدود الفاصلة بين البطريركية والتحرر على خلفية هذا الصراع. يرغب هذا النص في استكشاف هذه الحدود والرمزيات في وجه وجود الميليشيا النسوية - تلك الموجودة في روج افا.

هناك بعض وسائل الإعلام الكردية الإقليمية البديلة التي حاولت فهم هذه الحدود سرا، وغالبا في نطاق الفن. واحد مثل هذه الأعمال هو فيلم وثائقي بعنوان *Kurdistan: La guerre des filles*، أو "كردستان: نساء في الحرب"،^٢ حيث يمكن للمشاهدين رؤية النساء مع البنادق وفجوة في ابتساماتهنّ - ربما من الخوف، وربما من الفرح الهادي، والبعض منهنّ يقرأن بخجل البعض من أعمال نعوم تشومسكي، والبعض يتأرجح على قطعة من قماش معلق يتدلى من شجرة، والبعض يخبز العجين في مخزن، مع الكلّ مقاتلا في نهاية المطاف من أجل "مجتمع بيئي وعادل." وعلى الرغم من أن هذا قد لا يوحي بوضوح إلى نقاش حول أخلاق وبرغماتية الحرب، فهو يعرّف المشاهدين على جانب من الجيش الذي غالبا ما يكون غير مرئي بالنسبة لنموذج الجيش الرجاليّ- وهو مساحة تفضي إلى خلق هوية ذكورية ترمز إلى صفات مثل السيطرة على العاطفة، والرغبات الجنسية الغيرية العلنية، واللياقة البدنية، والانضباط الذاتي، والاعتماد على الذات.^٣ الجيش النسائي في روج افا يصور الجانب العسكري الذي يقوم بأنشطة غير قتالية (وبالتالي هي أنشطة دالة على الطبيعة العملية لتحقيق الحرية)، ويحمل أعضاء آخرين من المجتمع مسؤولي نسيان ما تعلموه وإعادة تعلم نبذ النظام الأبوي. وعلى الرغم من أن هذا الجانب ليس الأكثر انتشارا وليس خاصا بالجيش النسائي في جميع أنحاء العالم، فهو أحد السمات المركزية التي أظهرها الجيش النسائي في روج افا، مما جعله ينفرد عن معظم الأنشطة العسكرية التي غالبا ما تكون موحية بالفجاجة والذكورية المهيمنة على وجودها. يقوم الجيش النسائي في روج افا بأنشطة قائمة على فسخ ما يعلمه النظام الأبوي، من خلال المخيمات وورشات العمل التي يقوم بها الجيش لتعليم الشباب طرق ممارسة النسوية في الحياة اليومية، كما يكشف الفيلم الوثائقي المذكور. هذا يشدنا إلى السؤال السابق: هل

^٢ بإمكانكم مشاهدة الوثائقي على: <https://www.youtube.com/watch?v=csLMrM0vUJw&feature=youtu.be> كما يمكنكم مشاهدة وثائقي آخر عن الفن والحياة في روج افا على: https://youtu.be/WEzCqJ40-6U?list=PLxSOYcIG9_QwpFo_qiRWffuexL5-znPOi

^٣ Hinojosa, R. (2010) "Doing Hegemony: Military, Men, and Constructing a Hegemonic Masculinity." The Journal of Men's Studies 18 (2) p.180

يكون هذا الجيش النسائي مجرد رمز للمساواة، أم هو أيضا يقوم بعبور الهياكل الاجتماعية التي تفرضها القوى الداخلية والخارجية في المجالات الجغرافية السياسية للحياة في الشرق الأوسط؟ عند ذكر الفضاء الجغرافي السياسي، يودّ هذه المقال الإشارة إلى مواقف وتصورات العالم الأبيض المتعلقة بالشرق الأوسط - وكيف أن الصور النمطية والمعرفة القادمة من النسويات البيض تلعب دورا هاما في فهم صعود هذا الفضاء النسوي في روج افا.

كما تكتب جو دوزيما في مقال لها بعنوان "أوتش: تعلّق النسويات الغربيات الجريح ب"عاهرة العالم الثالث"،^٤ مفهوم "الجسم المصاب" ل"عاهرة العالم الثالث" أساسي جدا لعمل النسويات البيض، وكان كذلك منذ نسويات الحقبة الفكتورية ونظرتهم الاستعمارية إلى النساء الهنديات. من المثير أن نتابع مقال دوزيما لأنّ تصوير النساء ذوات البشرة الملونة من قبل النساء البيض كضحايا هو مفهوم يتجاوز الجندر والجنسانية للوصول إلى موضوع العرق والجغرافيا السياسية، ويدفع بنا إلى تصور عالم متزايد النزعة الاستعمارية من قبل قوات الهيمنة البيضاء. انطلاقا من الرئيس الأمريكي الذي تحدث عن أعمال الجيش النسائي في روج افا - وبالتالي تجاهل مساهمتهم في حرب بدأتها بلاده، إلى الهجمات الغربية الأخيرة (والدائمة) على أجساد النساء المسلمات في شكل حظر البركيني والبرقع في فرنسا، فالنساء ذوات البشرة الملونة تدفعن إلى هوية "نساء ضعيفات".

نشرت الصحيفة الكرديّة الرّقمية "KurdishQuestion.com": "قال الرئيس الأمريكي باراك أوباما أنّه سيقع تحرير الحدود بين سوريا (روج افا) وتركيا من الجماعات الجهادية. وفي حديثه للصحفيين عقب اجتماع في وزارة الدفاع الأمريكية لمكافحة الدولة الإسلامية في سوريا والعراق وليبيا، قال أوباما، "حتما ستهزم داعش". مشيرا إلى أن المجموعة الجهادية تفقد الأرض في سوريا والعراق، قال أوباما أنّها كانت تعاني أوقات صعبة، وقد أثبتت أنّه بالإمكان أن تُقهر. وأضاف أوباما أيضا أنه مع الدعم الجوي الأمريكي، ستتمكّن القوات المحلية من استرجاع الموصل والرقّة ومن "تحرير الحدود بين تركيا وسوريا".^٥ هذا هو الوقت كي نمثّل ونبدأ في تمرير عواء من نفاق الليبرالية الجديدة على مائدة العشاء. في خلفية تدفق ميمات^٦ الانترنت والمقالات المتّسمة بالحنين والمدح لأوباما، من المقلق جدا أن ندرك أن السلطات الأمريكية الديمقراطية تشنّ حربا بالوكالة ضد-داعش - طفلها غير الشرعي - مع الحكومة التركية (في هذا السياق فقط)، إلى درجة سرقة الاعتراف الأساسي من الأطراف الأخرى المشاركة في مكافحة داعش.

لم تمسّ تأثيرات روج افا تقريبا بهذه السرعة، ويستمرّون في الاعتقاد بأنّ تقرير المصير والدفاع عن النفس هما مبادئ أساسية للتحرّر من الإمبريالية والرأسمالية والنظام الأبوي، كما اقترحت مجموعة برايتون الكرديّة في حلقة نقاش حول "الثورة في روج افا وما بعدها". سيوفّر هذا النظام الاجتماعي والاقتصادي الجديد الذي يهدفن إلى تنفيذ إمكانية سلام ذي طابع تحولي وحرية في السياق الأشمل لأزمة الشرق الأوسط. وقد عمّنه أبعد من ذلك، حيث قمن بإدخال علم "Jineology"، القائل أنه بدون حرية النساء في المجتمع ودون وعي حقيقي محيط

^٤ Doezenia, J. (2001) "Ouch: Western Feminists' 'Wounded Attachment' to the 'Third World Feminist Review 67 pp.16-38

^٥ <http://kurdishquestion.com/article/3337-obama-rojava-border-to-be-liberated>

^٦ تعريب لكلمة meme وهي صورة مصحوبة بتعليق ساخر يقع تداولها على الانترنت

بالنساء، لا يمكن لأي مجتمع أن يسمي نفسه حرًا ومتحرراً. قبل أن تهزّي رأسك وتتجاهلي هذا الأمر كمجرد "تظاهر بتغيير العالم عن طريق رمي كلمات ونظريات كبيرة"، قد يكون من المفيد أن نعترف بأن النساء يشكلن ٥٠٪ من القوات المقاتلة وأكثر من ٤٠٪ من الممثلين المنتخبين (حتى داخل الأحزاب السياسية في سوريا وكردستان تركيا) في روج افا. وتلك هي مجرد جاذبيّة الأرقام. منذ إنشاء وحدة الدفاع الشعبية (YPG) في روج افا سنة ٢٠٠٦ لمحاربة داعش، تطوّرت YPG إلى وحدة قوّة منفصلة (YPJ) متألّفة من النساء فقط. لا يمكن إنكار أن YPJ لا تزال قوّة عسكرية كردية تحت حزب سياسي كردي (PYD). وبالتالي، فإن الجيش النسائي يخضع طوعاً لتسلسل هرمي تحت زعيم ذكر، ولكن تجب أيضاً الإشادة بالجيش لما يبذله من جهود لجعل الفضاء العسكري أكثر تعدّداً وتحزّراً من حيث الأعراق والجنس. ويمكن الاطلاع على لمحة من ذلك في حقيقة أن روج افا نفسها هي منطقة متعدّدة الاثنيات مع ثلاثة كانتونات مختلفة؛ ومع ذلك، فإن نهج الإدارة التصاعدي الذي تستخدمه YPJ بالإضافة إلى المجتمع متزايد التحرر من حيث أدوار الجنس، جعلاً من روج افا صورة بديلة للأنظمة الرأسمالية الحالية واضحة الفشل في هذه التواحي في أغلب أنحاء العالم. رغم كونها مكان املصق يستبدل الرأسمالية بانتشال اجتماعي، ليست معركة الجيش النسائي وروج افا سهلة كما تبدو في هذا المقال.

في مقدمته لكتاب الثورة في روج افا، كتب ديفيد غرايبر: "... حتّى في روج افا، هناك معارضة، حتى لو كان أغلبها يأخذ شكلاً سرياً. "لا يوجد رجل يجرو على الطعن في مبدأ المساواة الجندرية في مكان عام"، قالت لي إحدى منظّمات "يكتيا ستار"، اتحاد نساء روج افا. 'ولكن الاعتداءات الجسدية على النساء تضاعفت تقريبا في السنوات الأولى من الثورة.' كان هذا واحداً من الأسباب الرئيسية لإنشاء محاكم نسائية، لجان عدالة نسائية تزيد بشكل منتظم عقوبات الرجال المدانين في مثل هذه الاعتداءات عن طريق لجنة الأحياء المسماة "السلام والتوافق" (p.xy) ويمضي إلى إضافة جملة شديدة البساطة رغم كونها الأكثر رنيناً بالنسبة لنا نشطاء/ناشطات القرن الـ ٢١: "أنا أشير إلى هذه النقطة فقط لأؤكد أنّه لا يحصل أيّ تغيير ثوري حقيقي دون صراع، وجزء كبير منه داخليّ، اجتماعي وغير مرئي للعين الخارجية" (p. xii). العين الخارجية، بالنسبة لي، تترجم كالجزم "الأبيض" من العين البشرية أي "الصلبة": قيل أنّها تطوّرت لصالح التواصل غير اللفظي، ولذلك فهي أكبر من معظم الصلّبات في مملكة الحيوان، رغم ذلك ليست جزءاً من العين التي "تحسّ / ترى" الأشياء. أقول هذا في إشارة إلى العالم "الأبيض"، الذي نمت أكثر زخرفة منه حقيقة في مناطق الصراع، أكثر وضوحاً من حيث السلطة، ولكن مصوّراً واقعا مثمّاً بالأحقية الذاتية والضبابية. الآن، يُعنى العالم الخارجي – أي العالم الأبيض، بنتائج الانتخابات الأميركية وتدايعات وجود رئيس أمريكي يريد صدّ ObamaCare ويُنكر تغيير المناخ. لا أعني أنّ عواقب هذه الانتخابات ستقتصر على العالم الأبيض، ولكن أشير إلى أهمية الانتخابات الأمريكية التي اكتسبتها من خلال الهيمنة المنتظمة على مدى عقود. قبل بضعة أسابيع، ازعج العالم الأبيض بأشياء من قبيل أنّ "الرجال ليسوا أطفالاً" لاختيار انسحابهم من دراسة تحديد النسل الشهيرة - على الرغم من الاحتفال بوسائل تحديد النسل المخصّصة للإناث كنتيجة التقدم الطبي في أوّل ظهور لها، وأصبحت تعاقداً عادة الحماية في العلاقات الجنسية الغيرية. هذا يعيدني إلى سؤالي، مرّة أخرى. ومرّة أخرى: هل يكون هذا الجيش النسائي فقط

^y Graeber, D. (2016) "Foreword." Revolution in Rojava: Democratic Autonomy and Women's Liberation in Syrian Kurdistan. Ed. by Michael Knapp, Anja Flach and Ercan Ayboga, PlutoPress

مجرّد رمز للمساواة، أم هل يقوم أيضا بعبور الهياكل الاجتماعية التي تفرضها القوى الداخلية والخارجية في المجالات الجغرافية السياسية للحياة في الشرق الأوسط؟

إذا لم يجعلنا علمنا بالجيش النسائي نتوقف، نتنفس، وربما نغيّر خططنا لعيد الميلاد قليلا (لتجاهل تركيا من الطبقة ولضمّ بعض القراءات والثورات)، اعتقد أنّ اللوم يقع على امتيازاتنا - وأقول هذا كامرأة هندية بنّية تدرس في الجامعة البريطانية، وتنفق ١٥٠ جنيه استرليني في الاسبوع على الإيجار.